



الإيجابية الوحيدة في خطاب الرئيس بشار الأسد أمس (الأحد) أنه تحاشى هذه المرة «تربياته» البليدة، ولم يوزع على الحضور بعض التعليقات الساخرة السامحة كعادته في الخطابات التي ألقاها مع اندلاع الثورة إثباتاً للثقة في النفس. فالاليوم مختلف لأن «اليوم خمر وغداً أمر»، فالثوار يحيطون بدمشق إحاطة السوار بالمعصم، والمطارات صارت في مرمى الثوار السوريين، وثورتهم في تنام مطرد وحكمه في انحدار واضح.

بشار يدرك قبل غيره أن نظامه الديكتاتوري هو في كينونته كل أسباب السقوط من دموية ووحشية واغتيالات وتعذيب وطائفية وفساد ونهب لثروات البلاد، هذا قبل اندلاع الثورة، وأما بعدها فالثورة الشعبية الشجاعة أضافت لسيرته الذاتية القبيحة أكثر من ستين ألف شهيد ومليين المهجرين ودمارا هائلا في البلدان السورية، بالحسبنة الرياضية البحتة يستحيل أن ينجو من الانهيار، فأي أمل يمكن أن يتثبت به بشار كي يبقى رئيساً طبيعياً لسوريا؟ لا مجال لتفسير تشبثه بمواقفه على الرغم من المعطيات على الأرض والتي تعمل ضده وضد نظام حكمه، إلا أنه يقامر على احتمالين؛ أحدهما إمكانية ضئيلة جداً علىبقاء حكمه، والثاني دمار البلاد. دعونا نتكلّم بكل شفافية.

الرئيس بشار ولأسباب طائفية قندة لا يهمه فعلاً أن تهوي سوريا إلى الجحيم، هو أشبه بالمحتل الأجنبي الذي يقاوم ثواراً وطنيين ويقاتلهم بكل أنواع الأسلحة التدميرية، فهو كاسب في كل الأحوال، إما أن يدمر الثورة الشعبية، وإما أنه سيدمر بلاداً لا تعنيه ولا تهمه ولا يكترث لها كثيراً..

«يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بنبيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه» هو وطائفته، هذا الديكتاتور لو حكم إيران محتلاً لرأف بها وبشعبها وبمقدراتها.

بشار وإن نطق بالعربية فسورية لا يراها إلا كما يراها أبوه مكملة لحلقات الهلال الصفوی، فإما أن تستمر سوريا كذلك وإنما أن يسلمها لأهلها خراباً يباباً..

بل لا أبالغ إذا قلت إن بشار لا يملك قرار نفسه، فففل النظام السوري من النوع الذي له عدة مفاتيح.. مفتاح عند رموز الطائفة العلوية المقربين منه، ومفتاح عند أركان حكمه المنتفعين بوجوده، ومفتاح في طهران، ومفتاح في بكين، ومفتاح في موسكو، وميدالية المفتاح في كاراكاس الفنزويلية.

بشار باختصار مثل رئيس العصابة الذي مهما حاول أن يتغير أو يتخذ خطوات تراجعية، فإن أول من يقضي عليه أفراد عصابته لأنه حامل أسرارهم وشريكهم في جرائم القتل والتعذيب والتهريب والاغتصاب، وهذا أحد تفسيرات إصراره على موقفه على الرغم من أن أرض حكمه قد انتصبت من أطراها.

زعيم العصابة بشار قال إن الربيع العربي فقاعات صابونية وسوف تخفي، والحقيقة أن نظامه أكبر فقاعة، والدليل على فقاعية نظامه تراخي قبضته على البلاد، حيث وصل الثوار إلى الحلقة المقربة منه في عملية «الخلية الأمنية» الشهيرة، وتقدم الثوار في كل ناحية وسيطروا على عدد من المنافذ الحدودية للبلاد، حتى إن سهولة تهريب السلاح وصلت إلى حد الحصول على أسلحة متقدمة مكنته من إسقاط طائراته، وهو النظام الذي يكاد يحقق مع نحلة عبرت حدوده من بلد مجاور،

ولهذا قام وخطب ولم يقدم جديدا، لأن الأهم في خطابه أنه طمأن بقية أفراد عصابته في طهران وموسكو وبكين وبغداد والجنوب اللبناني بأنه سائر على «ميثاق شرف العصابة» حتى النهاية.

الشرق الأوسط

المصادر: